

ثورة التحرير الجزائرية في منظور السينما العربية: فيلم "جميلة" ليوسف شاهين أنموذجاً.

The Algerian Revolution in the Perspective of Arab Cinema: Youssef Chahine's movie "Jamila" as a Model.

عتيقة عزالدين¹

¹ جامعة غليزان (الجزائر) attika.azzeddine@univ-relizane.dz

تاريخ النشر: جوان/2025

تاريخ القبول: 2025/05/08

تاريخ الإرسال: 2025/01/19

الملخص:

تتوعد أشكال دعم الثورة الجزائرية، وكانت السينما أحد أهم الوسائل التي لجأ إليها الثوار إبان فترة الكفاح المسلح لنقل صدى الثورة لخارج حدود الوطن. ومنه سنحاول في هذه الدراسة بمناسبة سبعينية الثورة المجيدة تقديم لمحة عن مساهمة السينما العربية والمصرية خاصة في دعم حركات التحرر من خلال تحليل فيلم "جميلة" للمخرج يوسف شاهين سنة 1958، وهو المنتج العربي الوحيد الذي يطرح قضية الثورة الجزائرية في فترة الثورة. حيث يعد تنويعاً لتفاعل السينما المصرية مع الثورة الجزائرية بإبرازه واقعها وما شهدته من بطولات وتضحيات بذلتها شخصيات ثورية عظيمة، مما حرك ضمير العالم لمناصرتها وتأهيلها لأن تكون تدوينا فنياً لصورة الثورة الجزائرية وقيمها الخالدة.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية، السينما العربية، فيلم "جميلة".

Abstract:

The Algerian revolution was supported in different ways. Cinema was one of the principal means of support that revolutionaries resorted to, during the period of the armed struggle. That is to transmit the echo of the revolution outside the boundaries of Algeria. Thus, On the occasion of the glorious revolution we aim through this study at giving a general view about the contribution of the Arab and Egyptian Cinema in supporting liberation movements, through the movie "Djamila" by Yousuf CHAHINE in 1958, the only Arab production that introduces the Algerian revolution case during the revolution.

It is the culmination of the interaction of Egyptian cinema with the Algerian revolution by highlighting its reality and the heroism and sacrifices made by great revolutionary figures, which moved the conscience of the world to support it and qualify it to be an artistic recording of the image of the Algerian revolution and its eternal values.

Key words: The Algerian revolution, Arabe Cinema, "Djamila" movie.

مقدمة

تشكل الثورة الجزائرية أحد أكبر الثورات في العالم، ليس لأنها هزمت جيشاً استعمارياً قوياً فقط، بل وامتد تواجدها إلى المحافل الدولية، ورغم الوضعية المزرية التي كان عليها الشعب الجزائري واحتكار المستعمر لوسائل الاتصال، إلا أن محاولات نقل الثورة إلى العالم باستخدام الكاميرا ظل مطلباً للجزائريين خاصة الشباب الذي اختص في الدراسة بمعاهد سينمائية، استغلوا السينما في إعطاء الثورة بعداً عالمياً لإنصاف الشعب الأعزل، خاصة تلك الأفلام التي عرضت في مقر الأمم المتحدة كفيلم "ياسمينة" باللغة الانجليزية ودعوة الرئيس الأمريكي **كيندي Djohn Kennedy** لمشاهدته. وعلى نفس الصعيد (الفني) انتقل صدى الثورة التحريرية الجزائرية إلى السينما العربية عموماً بتنظيم مهرجانات دولية احتفاءً بذكرها، وإلى السينما المصرية خصوصاً بإنتاج فيلم سنة 1958 حول المجاهدة **جميلة بوحيرد** من إخراج السينمائي **يوسف شاهين**، الذي اعتبره العديد من النقاد والباحثين بمثابة نموذج فكري ثقافي لمساهمة الثقافة المصرية في الثورة الجزائرية لما لهذا الإنتاج السينمائي من تأثير إيجابي على السينما العربية من جهة، ودعم حركات التحرر والمقاومات العسكرية في الجزائر وخارجها من جهة أخرى.

على ضوء ما سبق تتضح لنا معالم الإشكالية التي نطرحها في التساؤل الجوهري التالي:

كيف تجلت ملامح الثورة التحريرية الجزائرية في منظور السينما العربية من خلال الفيلم المصري "جميلة"؟

يندرج تحته التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هي نقاط التقاطع بين الثورة والسينما؟
- كيف كان حضور ثورة التحرير على مستوى السينما الجزائرية والعربية والدولية؟
- كيف جسّد نموذج البحث "جميلة" مساندة السينما العربية للثورة الجزائرية من خلال العناصر الفنية للفيلم؟

للإجابة على هذه التساؤلات، قسمنا البحث إلى محورين: يتعلق الأول بحضور الثورة الجزائرية في الفضاء السينمائي عموماً، مع تقديم نماذج تبرز حضورها في كل من السينما الجزائرية والعربية والعالمية. أما المحور الثاني فقد خصّص لمناقشة آليات دعم الثورة الجزائرية في فيلم «جميلة» للمخرج المصري **يوسف شاهين**، ولأن الفيلم يستلهم في عنوانه الكثير من نضالات وتضحيات المجاهدة البطلة **جميلة بوحيرد**، بادرنّا أيضاً إلى إعطاء لمحة عن المسار النضالي لهذه الشخصية الفذة.

تكمن أهمية هذا الموضوع في محاولته طرح أساليب مساندة الثورة الجزائرية وصورتها في السينما العربية من خلال تحليل ودراسة المنتج السينمائي العربي الوحيد -على حد علمنا- الذي تناول موضوع الثورة التحريرية قبل الاستقلال.

اتبّعنا المنهج الوصفي التحليلي كأسلوب علمي، أما أداة البحث فتمنّلت في الملاحظة بالمشاهدة المتكررة لتحليل بنية الفيلم من خلال العناصر الفنية التي يتكون منها إستناداً لمقاربة جاك أومون وماري ميشال لتحليل الأفلام والقائمة على ثلاثة مراحل أو أدوات :

1. أدوات وصفية **Instruments descriptifs** : تضم تقنيات التقطيع التقني على أساس اللقطات المنفصلة زمنياً، محدّدات التقسيم الدرامي *segmentation dramatique* بتحديد المقاطع التي تشكّل وحدة روائية متجانسة، بالإضافة إلى وصف صور الفيلم *description des images filmique* بقراءة محتويات الصورة ومكوّناتها من ألوان وإضاءة وأكسسوار وهنا يتوجّب حضور الفكر والحس السينمائي .

2. أدوات إستشهادية **Instruments citationnels** : وتشمل نسخة من الفيلم *Extrait de film* هدفها تسهيل عملية التحكم في التحليل باستخدام تقنية التصوير البطيء والوقوف عند الصورة مما يسمح باكتشاف أدق التفاصيل وأبسط العناصر التحليلية التي قد تمر علينا دون مشاهدتها أثناء تعاقب لقطات الفيلم.

3. أدوات وثائقية **Instruments documentaires** : وتتضمن المعلومات السابقة واللاحقة للفيلم.
- المعلومات السابقة لعرض الفيلم: وتشمل مختلف المعلومات والوثائق عن السيناريو، ميزانية الإنتاج، التصريحات والروبرتاجات، المقابلات الصحفية التي تسبق التصوير والبث.
- المعلومات التي تلي العرض: وتشمل المعلومات المتعلقة بالتوزيع، أماكن البيع والنشر، المداخل، والمعلومات المتعلقة بالتحليل والنقد من الباحثين والنقاد.¹

1- الثورة الجزائرية والفن السينمائي

1.1- مفهوم الثورة:

الثورة مصطلح مشتقّ من الفعل الثلاثي ثار كما جاء في لسان العرب ثار ثائرة وفار فائرة إذا غضب وهاج غضبه، بمعنى غضب وصار حاداً في التعامل من أجل تحقيق هدف ما.²
يتعدد مفهوم لفظ الثورة بتباين سياقاته وغايات استعماله، ولكنه في الاستعمال السياسي يعني قيام شعب بحركة سياسية أو عسكرية أو هما معاً، من أجل تغيير وضع راهن سيئ، وإبداله بوضع جديد أفضل منه. ومن هنا فإن أساس الثورة هو رفض واقع معين قائم، والسعي إلى تغييره نحو الأحسن، ويطلق على الأشخاص الذين يشاركون بالثورة مسمّى (الثوار أو المتظاهرون).

يعود ظهور مفهوم الثورة إلى العصور اليونانية القديمة، إذ اهتم الفيلسوف اليوناني أفلاطون بدراسة التغيّرات السياسية التي تحدث بناءً على أفعال المواطنين، وكتب العديد من الشروحات حول الثورة، والأفكار المرتبطة بها وأهدافها بناءً على الآراء التي قام بتشكيلها بعد دراسته لواقع الثورات في عصره.³
وقد تكون الثورة ضد حكم محلي ظالم كما هو الحال في ثورات العراق واليمن ومصر وليبيا... الخ، وتجدر الإشارة هنا إلى وجود فروقات جوهرية بين مفهوم الثورة والإصلاح من جهة وبين مفهوم الثورة والحرب

من جهة ثانية. فبخصوص الثورة والإصلاح نلاحظ أن الثورة تراهن على التغيير الجذري الشامل لكل مجالات الحياة وقطاعاتها، في حين أن الإصلاح ينشد التغيير في مجالات جزئية محددة اجتماعية أو دينية مثلاً، وذلك على غرار الحركة الإصلاحية التي قامت بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها سنة 1931. أما بخصوص الثورة والحرب، فالملاحظ أن الحرب تقوم على المواجهة العسكرية بين قوتين متحاربتين أو أكثر، في حين أن الثورة تتجاوز الطابع العسكري إلى خلق المواجهة الشاملة لكل القطاعات ضد القوة الأخرى والتي عادة ما تكون إحتلالية، ولذلك يرفض أغلب الباحثين في موضوع ثورة التحرير الجزائرية استخدام مصطلح «حرب الجزائر» بقلم أغلبية المؤرخين والصحافيين ورجالات السياسة الفرنسيين، لأن الصحيح هو أنها « ثورة » وليست مجرد حرب...إن اللجوء إلى هذا العنوان ينم عن الاستخفاف المقصود بالشرعية التاريخية لثورة تحريرية وطنية، ويكون من الموضوعية القول أنها ثورة من زاوية الجزائريين، وحرب من زاوية المستعمر الفرنسي.⁴

نستنتج مما تقدم أن غاية كل ثورة إنما هي تحقيق التغيير الجذري نحو الأفضل، وربما يكون أقرب رمز يدل على وسائلها هو الرصاصة ذلك أن العنف أحد مميزاتها، غير أن الرصاصة ليست الأداة الوحيدة، فكل الوسائل مادية ومعنوية توظف في الثورات ومن ذلك الفنون بأنواعها المختلفة التي لطالما كان لها إسهاماتها الفاعلة على الثورة بالتحريض عليها ونشرها، وتحقيق هدفها، وهو التغيير الجذري الشمولي.

2.1- علاقة السينما بالثورة:

إن السينما هي فن وتكنولوجيا و لغة جميلة، بحسب المخرج الإيطالي مايكل أنجلو أنطونيوني "فإنها أجمل اللغات على الإطلاق. وهي كذلك وسيلة اتصال جماهيرية تفرض قبضة قوية على المتفرج. إنها الوسيلة الأكثر تأثيراً، إذ أنّ المشهد الواحد من الفيلم يمكن أن يغيّر العديد من الأفكار الراسخة في أذهان الناس."⁵ ذلك بقدرتها على تناول مختلف المواضيع التي تعكس واقع الفرد وما يعيشه في محيطه والتحدّث بلغته ومن ثم التأثير عليه لما تمتاز به كوسيلة تعبير.

كثيراً ما نتبادر على مسامعنا أن السينما في حد ذاتها ثورة، منذ حرك توماس ادیسون الصورة الثابتة واخترع آلة التصوير ثم أتم الأخوان لوميير الفرنسيان الاختراع بالكامل وسمّياه السينما توغراف. منذ بداية ميلاد الفن السابع شعر السينمائيون بمدى قوة تقديم الثورة في الأفلام السينمائية. ولعل فيلم "المدرعة بوتمكنين" لرائد السينما الروسي آيزنشتاين الذي أنتجه عام 1923 هو أول الأفلام الملحمية الضخمة التي قدمت ثورة المظلومين على من يقهرهم .

"عملت السينما الجزائرية بدورها على مدى تاريخها الوجيز لتبوء مكانة لاثقة ضمن السينما العالمية، فبالرغم من أنها امتازت ببداية صعبة وعسيرة إذ أنها ولدت إبان الحرب التحريرية، إلا أن بعض التجارب التي خاضتها وجدت لنفسها مكاناً في المحافل الدولية، وقد إرتبطت أساساً بمحيطها السياسي

والاجتماعي والاقتصادي مما أثر على المضامين المنتجة".⁶ لذلك عادة ما يستعمل النقاد والدارسون لتاريخ هذا الفن أربع مصطلحات لدى حديثهم عن هذا النوع من السينما، الأول هو السينما الثورية والثاني هو سينما المقاومة والثالث هو السينما المناضلة والرابع هو السينما التحررية، وتعبّر كل هذه المصطلحات عن ذات المعنى ويراد لها تحقيق نفس الهدف. ومنه يرى الناقد **جان ألكسان** أن صفات السينما المناضلة تتحدد كما يلي:

- أ. **ثورية المضمون:** وتأتي بضرورة تبني ثورية الفكر السياسي وهذا ما يستدعي المخرج والمحقق السينمائي بالنظرية النضالية وممارستها.
- ب. **جدية المعالجة:** تكمن في الابتعاد عن الأطر التقليدية المعهودة في الأعمال السينمائية الهوليوودية وأمجاد الأطر السينمائية النضالية، بل تعبّر عن روحها وتستعمل لغتها الخاصة للتعبير عن طموحاتها وآمالها في التحرر.
- ج. **جودة الايصال:** ويستدعي هذا اعتماد الفيلم النضالي للتقنية المحددة والمفهومة باستعمال لغة بسيطة، تجنب التعقيدات لاستيعاب المضامين الثورية ببسر وسهولة ولا يتم ذلك الا بعد دراسة عميقة وجادة للعلاقة بين الفيلم والجمهور، دراسة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كما تأخذ بعين الاعتبار التأثيرات السلبية التي خلفتها تراكمات الماضي من حيث النظر للسينما كأداة تسلية وترفيه ومدى تأثير وسائل الاعلام من تلفزيون، كتب وصحافة.
- د. **قدرتها على التصدي:** وبشكل خاص للسينما التي تأتي من العالم الرأسمالي، والتي تهدف للربح ونشر القيم الاحتكارية والقيم السياسية للاستعمار.⁷

نستخلص مما سبق أن علاقة السينما بالثورة تتقاطع في مستويات عدة من تأثير وتأثر، حيث تخدمها في مهامها سواء في التعبئة الجماهيرية أوفي التحريض على التنقيف السياسي وفضح العدو، كما باستطاعة أي فيلم أن يثبّت عزيمة الجماهير أو يحرضها ضد الثورة أو يدعو للتخاذل والسلبية أو يحمل فكرا سياسيا استعماريًا لطموحات، ويبشّر بأخلاقيات مضادة لأخلاقيات وقيم حرب التحرير الشعبية. ومن مستوى آخر الثورة تفتح مجال الإبداع والخلق لدى المخرج، فهي تمدّه بالمشاهد الحية وتخلق له الرؤى وما أدراك إذا كانت بعظمة الثورة الجزائرية التي تعتبر بكل موضوعية، أكبر ثورة عُرفت في إفريقيا والعالم العربي إطلاقاً. فكانت مصدر إلهام للنوازع القومية التحريرية حين ألقت بظلالها وآثارها على الإبداعات الفنية خاصة السينما باعتبارها وسيلة التعبير الأقوى والأقرب للجماهير. فظهرت بعض الأفلام الجزائرية والعربية والعالمية -على قلّتها- إلا أنها حاولت توقيع حضور الثورة الجزائرية في الإبداع السينمائي، والتعبير عن حوادثها وقيمها وبالتالي تمجيدها وتخليدها.

3.1- حضور ثورة التحرير في السينما الجزائرية:

لقد كان لثورة التحرير الجزائرية أثر بليغ لظهور السينما الجزائرية، ففي العام الثالث من إندلاعها

(1957) تم فتح مدرسة للتكوين السينمائي في جبال الولاية الأولى (الأوراس)، تحت إشراف روني فوتي **René Vautier** (وهو فرنسي إلتحق بصفوف جيش التحرير الوطني). وكان الطلبة جنوداً تلقوا المبادئ الأولية في السينما، وصاروا عبارة عن تقنيين عملوا بدورهم على نقل صور الكفاح في الجبال، وتركيبها وتحميضها بعد ذلك في يوغسلافيا وبرلين الشرقية سابقاً. قبل أن يستشهد أغلبهم في الميدان أثناء المعارك. ولم تصمد المدرسة بدورها أكثر من أربعة أشهر لكنها أخرجت إلى الوجود عدداً من الأفلام الوثائقية الهامة، وزرعت في البلدان الاشتراكية آنذاك للتعريف بالقضية الجزائرية. ونذكر من بين تلك الأفلام: "الجزائر تلتهب"، "المدرسة"، "الجزائر أمة"، "ممرضات جيش التحرير الوطني"، "الهجوم على مناجم الونزة"....⁸

كما عرفت هذه الفترة (مرحلة الثورة) أيضاً إخراج أول الأفلام الجزائرية ولو أنها صُوِّرت وأنجزت في ظروف صعبة جداً وبوسائل مادية محدودة وعلى أيدي سينمائيين تتقصصهم التجربة، لكنها كانت بحق شهادة هامة وبرهانا ملموساً على تلك المرحلة الصعبة. نوجزها فيما يلي:

- "جزائرنّا": من إخراج الدكتور شولي، جمال شندرلي، محمد الأخضر حمينة، يكشف عن الدوافع الحقيقية لاندلاع الثورة التحريرية.

- "ياسمينّة": أنتج في 1961م من إخراج محمد الأخضر حمينة، أنتجته مصلحة السينما التابعة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، مدته 20 د، و يتحدث الفيلم عن طفلة جزائرية اسمها ياسمينّة، و التي ترمز إلى الآلاف من الجزائريين الذين حوّلهم ظروف الحروب والنزوح إلى لاجئين في الجهة الأخرى من الحدود الجزائرية الشرقية (تونس).

- "صوت الشعب": أنتج في 1961م من إخراج محمد الأخضر حمينة وجمال شندرلي، والذي يذكّر المشاهدين أن معركة التحرير الوطني بدأت فعلاً قبل سنة 1954م بكثير.

- "بنادق الحرية": أنتج في 1961م من إخراج جمال شندرلي ومحمد الأخضر حمينة، مدته 20د وهو فيلم قصير وثائقي يعتبره النقاد بمثابة تكملة لفيلم "جزائرنّا"، تروي أحداثه الصعوبات التي تواجهها فرقة من جيش التحرير الوطني المكلفة بنقل الأسلحة والذخيرة من تونس عبر الصحراء الجزائرية الشاسعة.

- "خمسة رجال وشعب": أنتج في 1962م من طرف مصلحة السينما التابعة للحكومة المؤقتة، من إخراج روني فوتيه، مدته 46د، يصوّر الخطوات الأولى لخمسة من القادة التاريخيين، هم أحمد بن بلة، محمد بوضياف، رابح بيطاط، حسين آيت أحمد، محمد خيضر، بعد إطلاق سراحهم من معتقل قصر أولنوي بفرنسا حيث كانوا مسجونين طيلة خمس سنوات كاملة، وذلك مباشرة بعد الإعلان عن وقف إطلاق النار يوم 19 من شهر مارس 1962م.⁹

أمّا مرحلة بداية الاستقلال فكانت بمثابة العصر الذهبي للسينما الجزائرية من حيث النضوج الكبير، لقد عولجت الأفلام في هذه المرحلة بلمسة إنسانية كبيرة أكسبتها الكثير من الاحترام لدى الأوساط الثقافية التي تعتنق الفكر التحرري، بالإضافة إلى اللمسة الفنية السحرية التي ميّزت الكثير من الأعمال وأكسبت

مخرجها اعترافاً صريحاً من أجل ممارسة المهنة بكل أريحية، وقد كانت البداية مع النجاح الساحق الذي حققه فيلم "معركة الجزائر" 1966 لـ **جيلو بونتيكورفو** (مخرج إيطالي)، الذي يعد انطلاقة حقيقية للمخرج نفسه، بعد هذا الفيلم عرفه العالم.. أو بالأحرى عرفه الشعب العربي بشكل خاص كواحد من المؤسسين لتيار سينمائي هام. حيث عبّر عن ضرورة الكفاح الشعبي المسلح من أجل الاستقلال، مقدماً رؤية سياسية صريحة ضد مصالح الدول الاستعمارية.¹⁰

ونظراً للعدد الكبير من الأفلام القصيرة والمتوسطة والطويلة التي أنتجتها السينما الجزائرية بعد الاستقلال نذكر بعضاً منها في مايلي:

فيلم "سلم فتي" للمخرج: **جاك شارابي**، "الليل يخاف من الشمس" و"هروب حسن طيرو": **مصطفى بديع**، "قصر المعذبين" و"الأفيون والعصا" و"مصطفى بن بولعيد": **أحمد راشدي**، "ريح الأوراس" و"حسن طيرو" و"وقائع سنوات الجمر": **محمد الأخضر حامين**، "الخارجون عن القانون": **توفيق فارس**، "اللغة الكبيرة": **أحمد بجاوي**، "تحيا يا ديدو": **محمد زينات**، "عرق أسود" و"ليلي و الأخريات": **سيد علي مازيف**، "دورية نحو الشرق" و"أبواب الصمت": **عمار العسكري**، "الفحام": **محمد بوعماري**، "توة": **عبد العزيز طولبي**، "عطلة المفتش الطاهر": **موسى حداد**، "يا ولاد": **رشيد بن علال**، "يوسف أسطورة النائم السابع": **محمد شويخ**، "خراتيش غولواز": **مهدي شارف**، "زبانا": **سعيد ولد خليفة**...

أما الفيلم الوثائقي "سينمائيو الحرية" لمخرجه **سعيد مهداوي**، يقدم ملخصاً شاملاً لشهادات مجموعة من النقاد والشخصيات السينمائية عن مسيرة فئة من المخرجين الجزائريين والأجانب الذين كانوا رؤاد السينما الجزائرية على غرار الفرنسي **روني فوتيه**، **جمال شندرلي**، **محمد الأخضر حامين**، **بيار شولي**، **بيار كليمون**... الأوائل الذين استعملوا الكاميرا كوسيلة في الكفاح المسلح ضد الاستعمار. كما يبرز دور السينما في التأريخ للثورة وتمجيدها من خلال بطولات الشعب الجزائري حين استطاع أن يفضح دعاية فرنسا في نقل صورة مغايرة للغرب وظالمة عن طبيعة المجتمع الجزائري، حيث يصوره بأنه من غير ثقافة، متعصباً كما جاء في فيلم "العربي المضحك"، والمرأة صوّرت بأنها منحطة أخلاقياً أمام فحولة الرجل الفرنسي مثلما يظهر في فيلم "شعب موكو".¹¹

ونخلص بالقول أنّ السينما الجزائرية ومن خلال الأفلام التي قدّمتها، أبرزت الدور الذي يمكن أن تلعبه السينما عموماً كوسيلة اتصال جماهيرية. فمنذ انطلاقتها الأولى في مرحلة هامة من تاريخ الجزائر وهي مرحلة اندلاع ثورة التحرير الوطنية ساهمت السينما الجزائرية في إيصال صورة الجزائر الحقيقية إلى العالم أجمع وإظهار صورة فرنسا الاستعمارية المزيقة، التي حاولت تقديمها عن وجودها في بلد كانت تدّعي أنها جاءت لتُحضّره.

4.1- صدى الثورة الجزائرية في السينما العربية:

كان للثورة الجزائرية صدى كبير خارج أراضيها، جعلها قدوة لعدة حركات تحريرية في الوطن العربي

والقارة الإفريقية وباقي شعوب العالم التي ذاقت ويلات الاحتلال التي تجرّعها الشعب الجزائري على يد المستعمر الفرنسي.

ويتجلى هذا الصدى في أفلام وفعاليات سينمائية أقيمت من طرف البلدان العربية الشقيقة على شرف الدولة التي أطلقوا عليها لقب "بلد المليون ونصف مليون شهيد"، ونذكر أبرزها فيما يلي:

- أسبوع السينما الجزائرية بالقاهرة (من 15 إلى 19 جويلية 2012) احتفاء بالذكرى الخمسون على السينما الجزائرية وعيد الاستقلال، وكان بالتعاون بين مهرجان الأقصر للسينما الإفريقية وسفارة الجزائر بالقاهرة وصندوق التنمية الثقافية التابع لوزارة الاعلام المصرية.

بُرمج خلال هذه التظاهرة أشهر الافلام الجزائرية، منها "حرب الجزائر" لـ **جيلو بونتيكورفو** و"وقائع سنين الجمر" لـ **لخضر حamina** (الفيلم العربي الوحيد الحاصل على جائزة السعفة الذهبية في مهرجان كان وفيلم "الافيون والعصا" لـ **أحمد راشدي** و"الخارجون عن القانون" لـ **رشيد بوشارب** وكذا فيلم "عودة الابن الضال" وهو إنتاج جزائري مصري مشترك للمخرج المصري **يوسف شاهين**، يعتبر الفيلم (سنة 1976) ذا طابع ملحمي ويبدو فيه جلياً تأثير المخرج بالتأثر بالتيار الثوري بعدما أفضى فيه **صلاح جاهين** (مؤلفه) كل مشاعره حيال الثورة المصرية وهزيمة 1967 وانتصار 1973.

كان قد أخرج (**يوسف شاهين**) قبل هذا فيلم "جميلة" سنة 1958، في مبادرة هي الأولى عربياً على مستوى السينما، يستعرض قصة المناضلة الجزائرية **جميلة بوحريد** التي ساهمت في مقاومة الاحتلال الفرنسي. في هذا الخصوص تشير ممثلة الدور الرئيسي **ماجدة للصحيفة الإلكترونية** السينما.كوم "إلى أن فيلم "جميلة بوحريد" حقق نجاحاً كبيراً، ولم يعرض في أي دولة محتلة إلا وحدثت فيها مظاهرات كما حدث في أفغانستان وباكستان ويوغسلافيا وغيرها من الدول، كما أنه كان يحثّ الشعوب على الاستقلال والحرية."

ثم تضيف: "الفيلم ساهم ولو بجزء في تحرير الجزائر، والفدائيين والفدائيات في الجزائر عندما شاهدوا الفيلم كانوا يضحون بأنفسهم عن حب، خاصةً أنني سجلت في الفيلم الأحداث التي تدور في الجزائر بالصوت والصورة." (12)

- مهرجان تطوان الدولي للفيلم (دورة 2013)، حيث تحوّلت هذه المدينة المغربية إلى قبلة للسينما الجزائرية أثناء تكريمها لهذه الأخيرة بمناسبة الذكرى الـ 50 لاستقلال الجزائر سينمائياً بعدما خصّصت قسماً كبيراً من برنامجها لعدد كبير من الأفلام الروائية القصيرة والطويلة خاصة الثورية منها، كانت قد سجلت حضورها ونالت الإعجاب وافتكت عديد الجوائز في التظاهرات الكبرى مثل مهرجانات كان، لوس أنجلس، شيكاغو، برلين و نامور وغيرها.

- مهرجان قرطاج السينمائي في دورته الـ 24 على شرف السينما الجزائرية بمناسبة خمسينية استقلالها، من خلال عرض مجموعة من الأفلام التي تناولت الثورة الجزائرية. كما تخلل التظاهرة التي تعد من أهم الأحداث الثقافية بتونس، موائد مستديرة حول الشراكة في الإنتاج ومراكز السينما بالإضافة إلى ماضي

وحاضر ومستقبل السينما الجزائرية.

- مهرجان الدوحة السينمائي في دورته لسنة 2012 تحت عنوان: تحية إلى السينما الجزائرية بين الماضي والحاضر، إضافة إلى تخصيص مركز "كتارا" للفنون معرضاً لمصقات الأفلام الجزائرية، والعديد من الأفلام الجزائرية القصيرة خلال شهر كامل منذ انطلاق المهرجان (15 نوفمبر)، وذلك دعماً للمهرجان واحتفاءً بخمسينية استقلال الجزائر.

- احتفاء مهرجان أبوظبي السينمائي في دورته السادسة بـ 50 عاماً على سينما ما بعد استقلال الجزائر، وذلك بتقديم برنامج خاص يعرض مجموعة من الأفلام الثورية الجزائرية التي نالت رواجاً واسعاً، إضافة إلى أفلام تعالج قضايا المجتمع في مرحلة ما بعد الاستقلال. كما بُرِجت جلسة نقاشية بقصر الإمارات جمعت أجيالاً سينمائية جزائرية مختلفة بعنوان "السينما الجزائرية: الأمس، اليوم، الغد" بحضور المخرج الجزائري المخضرم **موسى حداد**، والمخرج **رشيد بن حاج**، والإعلامية الجزائرية **نبيلة رزيق**، والناقد الصحفي **نبيل حاجي**.

- الدورة الـ 32 لمهرجان الإسكندرية السينمائي الدولي لدول البحر الأبيض المتوسط وهو واحد من أهم وأكبر المهرجانات العربية، نُظم ما بين 21 إلى 27 سبتمبر 2016 تكريماً للسينما الجزائرية التي لها علاقة خاصة بالمقاومة وكفاح الشعوب ضد الاستعمار، حيث يحمل المهرجان شعار "السينما والمقاومة" كخطوة من إدارة المهرجان للتأكيد على دور السينما في الدفاع عن القضايا العادلة، وقد تم اختيار الثورة الجزائرية نموذجاً. ويوضح مدير المهرجان **أمير أباضة** لجريدة الخبر: "لقد كان هدفاً أساسياً لمهرجان الإسكندرية التركيز على مرحلة الثورة الجزائرية وأفلامها التي تعتبر أهم مقاومة في العصر الحديث، واختيار فيلم "معركة الجزائر" تحديداً للمشاركة ضمن باقة من الأفلام الجزائرية التاريخية باعتباره علامة فارقة في تاريخ السينما ليس فقط الجزائرية، إنما العربية والعالمية"، وهو الفيلم الذي منعت فرنسا عرضه لمدة 40 عاماً. كما عرضت الدورة أيضاً بعض من روائع سينما المقاومة: "ريح الأوراس" للمخرج **لخضر حامينا** و فيلمي "قبر المعذبين" و "العقيد لطفى" لـ **أحمد راشدي**، ورائعة **كوستا غرافاس** "زاد" الذي منح الجزائر أول أوسكار عربي، إضافة إلى فيلم "زبانا" لمخرجه **سعيد ولد خليفة** يحكي قصة أول شهيد حُكم عليه الإعدام بالمقصلة خلال الثورة. كان هذا الأخير قد شارك في المسابقة الرسمية لمهرجان الإسكندرية السينمائي لدول البحر المتوسط 2013.¹³

من أوروبا إلى العالم العربي، مغرباً ومشرقاً، تتوالى التكريات المخصصة للسينما الجزائرية، بمناسبة ذكرى الاستقلال. فقد كُرِّمت السينما الجزائرية عربياً، من «تطوان» و«قرطاج»، وصولاً إلى «الدوحة» و«أبوظبي» و«الإسكندرية»، ناهيك عن المبادرة المصرية في إنتاج فيلم سينمائي دعماً للثورة إبان فترة المقاومة. إنها السينما التي ولدت من رحم الثورة التحريرية، وتميزت بكثير من الأفلام التي تدور حول الموضوع نفسه، إلى درجة أنها عرفت باسم «السينما الثورية».

5.1- صدى الثورة الجزائرية في السينما العالمية:

الثورة والثوار يشكلون أحد أكثر المواد خصوبة في السينما العالمية لما تشكّله الثورة من مفاهيم جديدة وتحول في مجريات التاريخ، ولما يشكّله الثوار من نجوم مضيئة يلجأ إليها الكثير من الناس يستلهمون منها معاني سامية كالتضحية والفداء والشجاعة والحب.

كانت الجزائر إبان فترة الاحتلال الفرنسي خاصة مع بداية الثلاثينات مجالا واسعا وثريا لإنتاج الأفلام الكولونيالية التي تخاطب بها العالم لأغراض دعائية، ويمكننا حصر عدد من الأفلام الفرنسية التي تمجد "العسكر" وتلغي "الأهلي الجزائري" من خلال أهم العناوين:

- "الرقيب" للمخرج فلاديمير ستريشوفسكي سنة 1932.

- "جوقة الشرف" للمخرج موريس غلير سنة 1937.

- "واحد من الجوقة" للمخرج كريستيان جان جاك سنة 1937.

- "اللعبة الكبرى" للمخرج تسيودماك سنة 1954 مثل فرنسا في "كان" السينمائي خلال نفس السنة .

- "زيتون العدالة" للمخرج جامس بلو سنة 1962، هو آخر فيلم في سلسلة السينما الكولونيالية بالجزائر يدعو صراحة للاندماج بين الشعبين الجزائري والفرنسي مبرزا مساوئ الحرب على الجانبين ومحاوла اللعب على العواطف ومقارنة الماضي بالحاضر.

ناهيك عن تلك الأفلام التي تسخر من الجزائري صراحة كإنسان عربي ساذج من خلال: "المسلم المضحك" و"علي يأكل الزيت"، وإظهار المرأة في صورة جارية مثل فيلم "ظل الحريم"....¹⁴

لذا كان لابد من إنتاج أفلام ثورية تتحدث عن الثورة والاستقلال، وهو كان الموضوع الرئيسي ليس فقط للسينما الجزائرية بل لمخرجين أجانب وحتى من طرف فرنسيين أنفسهم بغية التصدي للصورة المغلفة التي أظهرها الاستعمار عن الجزائريين. ونذكر منها:

- رونييه فوتييه من الفرنسيين المؤمنين بعدالة القضية الوطنية من أمثال فرانس فانو وجون بول سارتر، فقد كان موقفه وكتاباتاته السياسية لصالح نضال الشعب الجزائري لاسترجاع سيادته.

أخرج فوتييه بمساعدة فرقته فيلمه الشهير "الجزائر تحترق" l'Algérie en flammes، أنتجه بالتعاون مع شركة RDA لجمهورية ألمانيا الديمقراطية، وقد أحدث هذا الفيلم تأثيرا كبيرا آنذاك لأنه جسد حياة الجنود في جبال الأوراس وأعمالهم الفدائية.

- فيلم "ساقية سيدي يوسف" الذي تعاون على انجازه بيار كليمون وروني فوتييه، يعتبر مصدر إزعاج للمستعمر الفرنسي لأنه يمثل شهادة حية على وحشية الاستعمار حين يستعرض الجريمة التي اقترفها في حق تلك المنطقة. تسبب في إثارة الرأي العالمي ضد فرنسا.

- "سلم فتى" هو أول فيلم جزائري طويل من إخراج جاك شارابي، من بين الفرنسيين الذين ساندوا الثورة التحريرية.

- فيلم "موريل" للمخرج آلان روزانيه أحد الأفلام الأكثر أهمية لكونه يطرح أمام الكاميرا مسألة وجود

الحرب وغياب الجزائري... ويعتبر روزانييه أحد أوائل السينمائيين الفرنسيين الذين وقّعوا بيان الـ 21 الشهير.¹⁵

- فيلمي "لا شيء يذكر" و"الرأس المشقوق" للمخرج الفرنسي ييف بواسيه، تعرض من خلالهما إلى حرب الجزائر محاولاً وصف المستنقع الذي يوجد فيه الشباب الفرنسي المجند وهم يستجيبون لنداء جيشهم.

- "معركة الجزائر" (1966) فيلم من إنتاج جزائري-إيطالي للمخرج جيلو بونتيكورفو، أختير ثلاث مرات لنيل جائزة الأوسكار في هوليوود كأحسن فيلم أجنبي ثم فاز بجائزة الأسد الذهبي عام 1966 خلال مهرجان البندقية.

تم تصنيفه من بين أقوى 10 أفلام تاريخية ثورية في العالم حسب موقع تقييم الأفلام (IMDB).

- فيلم "زاد" (Z) لـ كوستا غرافاس، فاز بالجائزة الخاصة للجنة التحكيم في مهرجان كان عام 1969 وأحرز أوسكار أحسن فيلم سياسي أجنبي في لوس انجلوس عام 1970 وجائزة الكون الذهبي Golden glob في نفس السنة.

- "وقائع سنين الجمر" للمخرج محمد الأخضر حمينة الذي أخرج السينما الجزائرية للعالمية بعد تحمله على السعفة الذهبية في مهرجان كان السينمائي عام 1975م، والجزائر هي أيضاً حتى الآن الدولة الوحيدة إفريقيا وعربياً تفوز بهذه الجائزة.

- "بعيدا عن الرجال" (2014)، مقتبس من رواية "من المنفى والمملكة" للكاتب الفرنسي الجزائري المولد والمنشأ ألبير كامو وإخراج دافيد أولفهوفن وبطولة النجم الأمريكي فيغو مورتنسن بطل الفيلم الناجح "سيد الخواتم"، يحكي فيه عن ثورة التحرير الجزائرية، ويضعها من خلال هذا الفيلم في قلب هوليوود.

امتدّ صيت الثورة الجزائرية إلى السينما العالمية كونها تعد من أعظم الثورات في العالم. فراح عديد المخرجين الأجانب يترجمون إيمانهم بشرعية الكفاح المسلّح ضد العدو في سبيل تحرير الوطن، من خلال أفلام كان لها الدور الكبير في تدويل القضية الجزائرية.

2- الثورة الجزائرية في فيلم "جميلة" ليوسف شاهين

1.2- يوسف شاهين في سطور:

هو يوسف جبرائيل شاهين، مسيحي كاثوليكي (25 يناير 1926 - 27 يوليو 2008) من أب لبناني كاثوليكي وأم من أصول لبنانية. مخرج سينمائي مصري ذو شهرة عالمية، معروف بأعماله المثيرة للجدل، وبرباعيته السينمائية التي تتناول سيرته الذاتية (إسكندرية...ليه؟ - حدوتة مصرية - إسكندرية كمان وكمان - إسكندرية نيويورك). كان تكوينه بمدارس خاصة منها كلية فيكتوريا، والتي تحصل منها على الشهادة الثانوية. بعد اتمام دراسته في جامعة الإسكندرية، انتقل إلى الولايات المتحدة وأمضى سنتين في (Pasadena Play House) يدرس فنون المسرح. بعد رجوع شاهين إلى مصر، ساعده المصور

السينمائي **ألفيزي أورفانيلي** Alvis Orfanelli بالدخول في العمل بصناعة الأفلام. أول فيلم له هو "بابا أمين" (1950)، وبعد عام واحد شارك فيلمه "إبن النيل" (1951) في مهرجان كان السينمائي. في حصيلته ما يقارب 37 فيلم طويل و 6 أفلام قصيرة نال من خلالها عدة جوائز وترشيحات لمختلف الجوائز في العالم، أهمها جائزة الإنجاز العام من مهرجان كان السينمائي عن فيلم "المصير" (1997). منذ بداية مشواره مع السينما، استخدم الموسيقى والغناء كعنصرين أساسيين في أفلامه منذ فيلمه الأول "بابا أمين" وحتى آخر أفلامه "هي فوضى"، تعامل فيها مع عدد كبير من المؤلفين والملحنين والمطربين وكان يشارك في اختيار الأغاني والموسيقى التي تخدم الفكرة.

وكان يوسف شاهين قد قال بعد مشواره الطويل في هذا المجال: "حين أستعرض مشواري مع السينما المصرية بكل سلبياته وإيجابياته.. ويكل ما قدمت من إضافات ويكل ما حصلت عليه من عذابات، أستطيع القول إنني أخذت من السينما بقدر ما أعطيتها، وأن رحلتي مع السينما المصرية كانت تستحق كل ما قدمته من أجلها." ¹⁶

2.2- جميلة بوحيرد رمز نضالي:

جميلة بوحيرد (1935 في حي القصبة بالجزائر العاصمة)، هي واحدة من بين ثلاث جميلات اللواتي أنجبتهن الجزائر ليكن شهادة حق على عظمة الثورة التحريرية (جميلة بوعزة - جميلة بوباشا). ترعرعت في أسرة عاشقة للوطن، فاكتمست بالنضال بالوراثة، حيث أن معظم أفراد عائلتها سواء من جهة الأب أو الأم ضمن صفوف الحركة الوطنية حتى أن أحد أبناء عمومتها قد سُجن وعذب ولم يكن يبلغ من العمر سوى ست عشرة سنة فقط، ووسط هذا الجو العائلي الموسوم برفض الاستعمار ومقاومته تشبعت **جميلة** بحب الوطن وقيم الفداء، فكان التحاقها بصفوف الثورة التحريرية عام 1956 عن طريق إحدى الصديقات المناضلات التحاقاً بمصيريا واختياراً لا رجعة فيه، فتركت معهد الخياطة الذي كانت إحدى طالباته لتلتحق بصفوف الثورة ولم يتجاوز عمرها آنذاك العشرين عاماً.

في بداية مسارها الثوري كلفها عمها المجاهد **مصطفى بوحيرد** بالسهر على إطعام وخدمة رفاق السلاح بالقصبة وهم: **ياسف سعدي** و**علي لابوانت** و**عليو**، وفي مرحلة لاحقة تم اعتمادها كفدائية جريئة ومتمرسّة، مهمتها أن تقضي على مضاجع الأعداء وتذك إقامات راحتهم في معارقلهم المحصنة بوضع القنابل التي كان منزلها بحي القصبة ورشة لصناعتها وإعدادها. حيث كانت تلك القنابل تحمل عادة في القفاف المهيأة للخضر والفواكه، أو في حقائب يدوية نسائية قبل أن تزرع خفية في معارقل الاستعمار الفرنسي لتنفجر محدثة خسائر كبيرة وهولا عظيماً في صفوف المحتلين. وهي العمليات التي أرعبت المستعمرين وجعلتهم يضعون **جميلة** على رأس قائمة المطلوبين حية أو ميتة. ليتم القبض عليها يوم 09 أبريل 1957 بعد تعرضها لإصابة بالغة الخطورة في رجلها إثر عملية مطاردة رهيبية من طرف المظليين الفرنسيين في شوارع حي القصبة، وقد عثر بحوزتها على وثائق سرية هامة تخص مخططات جبهة

التحرير الوطني، ووثائق أخرى موجهة إلى المجاهد القائد **عبان رمضان** مع مبلغ مالي يقدر بـ: 800.000 فرنكا فرنسيا قديما. ومنذ اعتقالها، بدأت مأساة جميلة بالتعرض لأبشع ألوان التعذيب وأشدّها إيلاما وأكثرها استفزازا. ولم يكتف زبانية الاستعمار بهذا بل تجاوزوا ذلك إلى درجة التحرش الجنسي والنيل من شرفها. لقد تعرضت إلى شتى أنواع الضغوط الجسدية والنفسية والتي طالت حتى اعتقال إخوتها وبخاصة أصغرهم المدعو **إلياس** علّ ذلك يجعلها تستسلم فتعترف بمكان وجود شركائها ورفاقها في الكفاح أمثال **ياسف سعدي**، و**علي لابوانت**.

ونظرا لأن كل أنواع التعذيب والضغط لم تجد معها نفعاً، إذ لم يتمكن الجلادون من انتزاع سر واحد منها يخص الثورة والثوار، فقد صدر الحكم بإعدامها مع زميلتها **جميلة بوعزة** وهذا يوم 13 جويلية 1957. تأجّل تنفيذ الحكم ثم خرجت من السجن بعد تحرير الجزائر عام 1962، وتزوجت محامياها الفرنسي **جاك فيرجيس** سنة 1965 الذي دافع عن مناضلي جبهة التحرير الوطني خاصة المجاهدة **جميلة بوحيرد** والذي أسلم واتخذ منصور اسما له.

تأسطرت حياة **جميلة بوحيرد**، فكانت ومازالت موضوع كتابات كثيرة شعرا ونثرا...كما أنتجت لها السينما المصرية فيلما يحكي بطولاتها. والحقيقة أنه لا يوجد في تاريخ الجزائر رمز احتفى به الإبداع العربي مثل رمز جميلة، فقد اختصرت في أبعادها رمزية الثورة التحريرية ذاتها.¹⁷

3.3 فيلم "جميلة": ر ل رة

فيلم مصري تاريخي من إنتاج عام 1958، يحكي عن أحد أهم الشخصيات في تاريخ الجزائر وهي **جميلة بوحيرد**. الفيلم من إخراج **يوسف شاهين** وتأليف **عبد الرحمن الشرقاوي**، **علي الزرقاني** و**نجيب محفوظ** وبطولة **ماجدة الصباحي**. الفيلم لم يحك قصة جميلة فقط بل عرض نضال شعب الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي.

تدور أحداث الفيلم حول مسيرة جميلة (ماجدة)، فتاة جزائرية تعيش مع شقيقها الهادي (**سليمان الجندي**) وعمها مصطفى (**فاخر فاخر**) في حي القصبة أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر، وتشاهد جميلة مدى الظلم والجبروت والقسوة الذي يتعامل به الجنود الفرنسيين مع أبناء وطنها، وتستيقظ روحها الوطنية عندما ترى تعذيب ومقتل زميلتها أمينة بالمدرسة فقد كانت ضمن منظمة لمقاومة الاحتلال، وتنضم جميلة إلى الفدائي يوسف (**أحمد مظهر**) وتقرر هي أيضاً مقاومة الاحتلال مع الفدائيين وتقوم مع زميلتها بوعزة (**زهرة العلا**) بعملية فدائية يتم فيها القبض على بوعزة ثم يتم قتل عمها أيضاً رمية بالرصاص، فتستمر جميلة في عملياتها الفدائية. ولكن من خلال إحدى تلك العمليات، يتم القبض على جميلة ويقومون بتعذيبها بشدة على يد الكولونيل بيجار (**رشدي أباطة**) وذلك من أجل أن تعترف بأسماء جميع الفدائيين الذين يعملون معها، وتقاوم جميلة شتى أنواع التعذيب، ويتطوع المحامي الفرنسي **جاك فيرجيس** (**محمود**

المليجي) للدفاع عنها ولكن تحكم المحكمة عليها بالإعدام وينتهي الفيلم على هذا الحكم. ولكن جميلة في الواقع يتم تبرأتها بعد ذلك لأن الجزائر حصلت على الاستقلال.¹⁸



4.3- تجليات الثورة الجزائرية من خلال العناصر الفنية للفيلم:

أ. الفكرة والسيناريو: يدور محور الفيلم حول حياة المناضلة الجزائرية (جميلة بوحيرد)، ومساهمتها في مقاومة الاحتلال الفرنسي بعدما رأت تعذيب ومقتل زميلتها (أمينة) بالمدرسة والتي كانت ضمن منظمة لمقاومة الاحتلال، لتقرر استكمال مسيرة النضال، وتتصاعد الأحداث. لكن الفيلم في مجمله لم يجسّد فقد مسيرة نضال جميلة، بل شمل السيناريو خاصة في بدايته عدّة جوانب منها: تراجع فرنسا عن وعودها بمنح الاستقلال بعد تجنيد الجزائريين في طليعة جيشها بالحرب العالمية الثانية، وسياسة الأرض المحروقة التي كانت تنتهجها بسلب أراضي الأهالي ومنحها للمعمرين الفرنسيين. من بين القيم التي حملها الفيلم أيضا هي التجرد من المشاعر لمواصلة درب الكفاح على حد تعبير قائد الجبهة يوسف (ياسف سعدي في الواقع): "لو بكينا على كل الذين ماتوا واستشهدوا لقضينا كل عمرنا في البكاء، الدم هو الذي سيحرر الجزائر وليس الدموع".

- ولأن المباشرة في الفن تقتل الإبداع، فقد لجأ كاتب نص السيناريو (عبد الرحمان الشرقاوي وآخرون) إلى تجسيد الرموز المشقّة التي كان يتعامل بها المجاهدون أثناء الثورة، كتغيير المصطلحات العسكرية في الرسائل (السلاح = معكرونة)، الإشارة بالنافذة والإنارة وحركة مسح الشعر: للأمان والمرور، وانعكاس ضوء المرأة : للخطر والإنذار بقدم دورية فرنسية.

ب. **الصورة السينمائية:** ظهر جلياً من خلال الفيلم تركيز المخرج على التعبير بالصورة قدر الإمكان، والاهتمام بخلق كادرات جمالية معبرة منها لقطات بعيدة وشاملة لديكورات طبيعية تمثل شوارع وأزقة حي القصبة بالعاصمة ومدرجاتها التي تدحرج عليها الشهداء بعد تعرّضهم لإطلاق نار عشوائي. مما يذكرنا بمشهد "الأوديسا" الشهير في فيلم "المدرعة بوتمكن" للمخرج الروسي العملاق **إيزنشتاين**، ولقطات جامعة ومقرّة لمداهمات العساكر واجتماعات الفدائيين، وقريبة جداً لوجه البطلة ما يعكس الملامح السيكلوجية بعد تعرضها للضغوطات النفسية والجسدية. ناهيك عن زوايا تصوير لافتة أضافت كثيراً للحدث وأثرت فيه (الغطسية لجيوش الاحتلال الذليل كما تقول جميلة في الفيلم، والمنخفضة لتصوير شموخ قائد جبهة التحرير يوسف).

ج. **المونتاج:** من المعلوم أن للمونتاج دور كبير في نجاح أي عمل سينمائي، هنا يبدأ الحديث عن إيقاع الفيلم ونجاحه في شد انتباه المتفرج وإعطائه جرعات من الصور المتلاحقة والمؤثرة. فرغم قدم إنتاج هذا الفيلم (1958)، حيث أن عديد المخرجين في تلك الحقبة كانوا يلجؤون إلى مشاهد كثيرة تعتمد على اللقطات الطويلة المملة التي تتابع حركة الممثل أينما ذهب وكأننا أمام خشبة مسرح، نرى في "جميلة" لقطات متوسطة الطول وتناغم في الوصلات بينها إما بواسطة القطع المباشر أو المزج أو الاختفاء التدريجي وكذا من خلال تتبع حركات الممثل داخل الكادر. وتارة أخرى نشاهد لقطات قصيرة وسريعة حين يعرض لنا مشاهد حماسية أو جاذبية عنيفة (montage des attractions violente) مثل مطاردة العساكر الفرنسيين للفدائيات أثناء تهريبهن للأسلحة ومشهد إطلاق الرصاص على جميلة وإلقاء القبض عليها. إيقاع الفيلم من حيث المونتاج يذكرنا بأسلوب المخرج العالمي **إيزنشتاين** خاصة في تشابه لقطات رش الرصاص على الأهالي في مدرجات القصبة مع لقطات مشهد **الأوديسا** الشهير، ما يوحي بتأثر المخرج المصري **يوسف شاهين** بمعالجة **إيزنشتاين** للثورة الروسية التي أحدثت ضجة عالمية هي الأخرى.

د. **الموسيقى والصوت:** للموسيقى تأثير كبير في الارتفاع بمستوى الفيلم أو النيل منه، لكن الصورة هنا كانت أجدر على التعبير السينمائي من الأغنية. فمعظم مشاهد الفيلم تخلّلتها الصمت إلا صوت الحوار والمؤثرات الصوتية الخاصة بإطلاق النيران ودوي القنابل، استعمال مقاطع موسيقى وأغاني أجنبية في مشاهد الحانات حيث يتجمّع الضباط الفرنسيين للاحتفال، رفع صوت الأذان مرتان وترافق مع تخطيط أفراد جبهة التحرير الوطني للمقاومة، النشيد الوطني: "جزائرنا يا بلاد الجدود..." الذي يحفظه ويردّده الصغير والكبير في ختام الفيلم للدلالة على أن الروح الوطنية لكل فئات المجتمع قادرة على هزم أقوى عدو.

هـ. **الأداء التمثيلي:** «جميلة» الذي أنتجته بطلته عبر شركتها «أفلام ماجدة»، بدت فيه الشخصيات نمطية كأفلام الأبيض والأسود المصرية المشهورة كما صرّح **شاهين** نفسه في أحاديث صحافية، موضحاً أخطاءه المعرفية القديمة بخصوص الجزائر التي كان يفترض به أن يزورها ويتعرف عليها عن كثب

ليكون تجسيد المناطق والشخصيات خاصة في محلّه كون الجزائريين معروفين بطباعهم الحادّة في مثل تلك المواقف، ومن جهة أخرى الأخطاء المتعلقة بالأسماء التاريخية أبرزها "جميلة بوحيرد" التي تردّد اسمها مرارا و تكرارا في الفيلم على نحو "جميلة بوحيرد" وهذا كان أقسى انتقاد واجهه القائمون على العمل. لكن هذا لم يمنع من إحساس المتفرّج بصدق الأبطال في تقمصهم للأدوار وإيمانهم بالقضية الجزائرية ما شكّل لديهم روح القومية، فقد حرصت ماجة (بطلة الفيلم) على التصريح في أكثر من مقابلة حول أدائها: "بعد أكثر من أربعة عقود لا تزال الثورة الجزائرية تعطي وتجزل في العطاء لكل من اقترب منها بخير وبالأخص أنا، حتى أنني أشعر بالندم لأنني لم أقدم أعمالا أخرى لبطلات جزائريات أخريات وما أكثرهن، وأعتقد أنه من بين 56 فيلما قدمتها يظل فيلم **جميلة** الأهم في مسيرتي وسيظل كذلك بعد رحيلي، فقد خلدني لدرجة نسي الناس اسمي الحقيقي، حتى في مصر لا يزال هناك من يلقبني بجميلة، أنا نفسي أفخر بهذا اللقب".¹⁹

خاتمة:

فيلم "جميلة" في مجمله، من أهم الأعمال السينمائية العالمية التي قدّمت صورة جلية لتضحيات المرأة ومشاركتها للرجل جنبا إلى جنب في أهم قضايا الأوطان، وبلغ بها الحد ممارسة العمل المسلح ضد الاستعمار. كما يسرد الشريط فظائع الفرنسيين ومجازرهم على أرض الجزائر، وعرض الأناشيد الوطنية الفصيحة والسرد الجوهري لتاريخ الجزائر ورفض الاستيطان ومنه نستنتج أن الفيلم جسد صورة من صور دعم السينما العربية للثورة التحريرية الجزائرية.

خاتمة

حاولنا في هذا البحث دراسة صدى الثورة الجزائرية وصورتها في منظور السينما العربية من خلال إبراز تجلياتها في فيلم «جميلة»، وقد خلص البحث إلى نتائج عديدة تضمنتها وكشفتها المحاور السابقة، وسنكتفي فيما يلي بذكر أهمها:

لقد كان للثورة الجزائرية صدى كبير في الوجدان القومي العربي، وترجم هذا الصدى إلى حضور إبداعي عميق، وإذا كان الشعر والمسرح من أكثر الأشكال الأدبية والفنية تفاعلا معها، فإن السينما الجزائرية والعربية قد قدمت هي الأخرى أفلاما احتفت بالثورة التحريرية ومجّدتها فكانت عامل شحن وتحريض على مساندة هذه الثورة لما كانت مشتعلة، وعامل تمجيد وافتخار بعد انتصارها، كما كانت بطولاتها وشخصياتها مصدر إلهام للمبدعين يستلهمون منها الرمز والعبرة.

يُعد فيلم «جميلة» نتويجا لتفاعل السينما المصرية مع الثورة الجزائرية في عمل ركحي استطاع إبراز صورتها وما شهدته من بطولات وتضحيات بذلتها شخصيات ثورية عظيمة، على رأسهم المجاهدة **جميلة بوحيرد**، الرمز الأسطوري الذي استلهم منه كاتب السيناريو **عبد الرحمان الشرقاوي** إسم جميلة كعنوان للفيلم للدلالة على عظمتها وصداها المدوي في الوجدان العربي والعالمية. وإن كان الفيلم أبرز

دور المرأة الجزائرية في الثورة وحملها السلاح، إلا أنه لم يكتفي بتصوير البطولة الفردية لهذه المجاهدة، بل تجاوز ذلك إلى تصوير بطولات الكثير من الشخصيات التي تعلقّت بجميلة وذلك مصداقاً لحقيقة أن الثورة الجزائرية هي ثورة شعبية شارك فيها مختلف فئات الشعب وشرائحه.

إن الواقعية التي وسمت الفيلم محل الطرح، جعلت منه مرآة عاكسة داعمة للثورة الجزائرية، بحيث أن الدارس له يكتشف الكثير من أشكال الصراع والشخصيات والحوادث الحقيقية التي نسجها الكاتب نسجاً فنياً، والتي شهدتها الثورة كتنظيم الخلايا الثورية في سرية تامة بحي القصبة، وتفجير المجاهدين لمعقل الاستعمار، ورد الفعل بالمداهمات والاعتقالات، وكذا سجن جميلة بوحيرد وتعذيبها المريع في سجن برياروس، ثم محاكمتها الجائرة وصدور الحكم بالإعدام في حقها، مما حرّك ضمير العالم لمناصرتها وتأهيلها لأن تكون تدوينا فنياً لصورة الثورة الجزائرية وقيمها الخالدة.

الهوامش:

1. Jacques AUMANT, Marie MICHEL, **Analyse des films**, Armand Colin, paris, 2015, p38.
2. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط3، ج4، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ص.108
3. مجد خضر، مفهوم الثورة، موضوع: أكبر موقع عربي بالعالم، 13-03-2016، تم الاطلاع عليه يوم 24-12-2024. www.mawdoo3.com/
4. أحسن تليلاني، الثورة الجزائرية في المسرح العربي: مسرحية "مأساة جميلة" لعبد الرحمان الشرقاوي نموذجاً، بحث مقدم لنيل جائزة مصطفى كاتب في الدراسات المسرحية، 2010 .
5. محمود إبراقن، ماهي السينما، ج2 ، منشورات المبرق، الجزائر، 2014، مقدمة.
6. كريمة منصور، إتجاهات السينما الجزائرية في الألفية الثالثة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفنون الدرامية، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2013، ص.6
7. جان ألكسان، السينما في الوطن العربي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1982، ص.155
8. مراد وزناحي، الثورة التحريرية في السينما الجزائرية: 1957-2012، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص39
9. جان ألكسان، السينما في الوطن العربي، مرجع سبق ذكره، ص.219
10. حسن حدّاد، رؤى نقدية في السينما، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009، ص87.
11. سعيد مهداوي، "سينمائيو الحرية"، فيلم وثائقي، الجزائر، 70د، 2019 .
12. أسامة الشاذلي، المصرية ماجدة ساهمت في تحرير الجزائر بفيلم "جميلة"، السينما دوت كوم، 09-05-2010، تم الاطلاع عليه يوم 01-12-2024 www.elcinema.com/press
13. محمد علّال، الاسكندرية تحتفي بالمقاومة الجزائرية، جريدة الخبر، 08-10-2016، تم الاطلاع عليه يوم 01-01-2017 www.elkhabar.com/press/article
14. عبد الرزاق هلال، تاريخ السينما: صورة الجزائري على الشاشات الفرنسية، تر: موسى أشرشور. منشورات رافار، الجزائر، 2013، ص17.
15. أحمد بجاوي، السينما وحرب التحرير: الجزائر معارك الصور. منشورات شهاب، الجزائر، 2014 ، ص153.
16. عامر العبود، المخرج الراحل يوسف شاهين، موقع بابونج، 12-11-2016، تم الاطلاع عليه يوم 02-12-2024 www.babonej.com
17. أحسن تليلاني، مرجع سبق ذكره .
18. يوسف شاهين، فيلم "جميلة"، إنتاج: أفلام ماجدة، مصر، 120د، 1958م.
19. وليد، تركيا تستعيد أمجاد الثورة الجزائرية وتكرّم جميلة بوحيرد، الشروق اليومي، 05-05-2009، تم الاطلاع عليه يوم 05-12-2024 www.djazairiss.com